وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة العاشرة

الإسراء والمعراج

ما زلنا عباد الله مع أحداث السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، هذه السيرة العظيمة التي نريد منها أن نُحَصِّل إيمانًا، وأخلاقًا، وأعمالًا، لا نريدها موضوعا للمناقشة، ولا قصصًا للتسلية، ولا دربا من دروب الخيال، ولا ترانيم تتلى يوم مولده ويوم هجرته، وهل قراءة سيرته ﷺ بهذا الفهم يدل على محبته ﷺ؟ لا، وألف لا، فما أرخص الحب إذا كان كلامًا! وما أغلاه إذا كان قدوة وزمامًا!

عباد الله، إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته، وفهمه، وفكره؛ لا يغني عنه شيئا أن يحرك لسانه بألف صلاة وسلام عليه ﷺ في اليوم والليلة، وهكذا عباد الله، لقي النبي ﷺ من الضيق والعسر ما لقي.

هنا عباد الله انقضى تقريًبا نصف عمر الدعوة الإسلامية؛ وما رأينا من قريش إلا الظلم، والاضطهاد، والتعنت، والحصار، وفَقْد الأحبة، نعم رأينا ومضات من النور، ولكن لاقى الحبيب الكثير والكثير من الأتراح، والآلام، والأحزان، وفي هذا الوقت يأذن الله ﷻ بالفرج بعد العسر، واليسر بعد الشدة، والمكافأة الإلهية لرسولنا ﷺ كانت رحلة الإسراء والمعراج.

فتعالوا بنا عباد الله نرى ملكوت الله ﷻ، نرى قوته وقدرته، نرى جبروته وكبرياءه، كل ذلك يتبين في هذه الرحلة المباركة؛ فَيَعْظم الرب في قلوبنا، ويتلألأ جلاله في أبصارنا، فنأتمر بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر، فقبل أن يرسل الله ﷻ موسى عليه السلام شاء أن يريه عجائب قدرته، فأمره أن يلقي عصاه، يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا

﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طـه:١٩ - ٢٣]، فلما مُلِئَ قلبه إعجابًا بمشاهدة هذه الآيات الكبرى؛ قال له ربـه ﷻ: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[طه: ٢٤].

وفي الأحاديث الآتية أسوق لحضراتكم الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وقريش بخصوص تكذيبهم لهذه الرحلة، فهم إذا أرادوا أن يذهبوا إلى المسجد الأقصى؛ يأخذون الأيام والليالي الطوال، فإذا بالرسول ﷺ يخبرهم أنه ذهب، ورجع، وصعد، وهبط في ليلة واحدة، بل أقل من ذلك، قال ﷺ: **"لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، مَرَّ بِي عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ، أَتُحَدِّثُهُمْ بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، قَالَ: فَانْفَضَّتْ إِلَيْهِ الْمجَالِس حَتَّى جاؤوا إِلَيْهِمَا، فَقَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَحَدَّثَهُمْ، قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا، قَالُوا: وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ"**[1]، وفي رواية: **"وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ"**[2]، وفى رواية:**"فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ"**[3].

الله أكبر، ومع ذلك كذبوه، إنه العناد والجحود

---

[1] أخرجه بمعناه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (٢٨١٩)، وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري: إسناده حسن (٧/٢٣٩).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٢).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٧١٠)، رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٠).

ثم هيا بنا عباد الله مع كلام الله ﷻ عن هذه الرحلة كما في سورتي الإسراء والنجم، فأشار

سبحانه إلى الإسراء في سورة الإسراء، وإلى المعراج في سورة النجم، يقول جل شأنه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١].

ثم تأتي رحلة المعراج فيقول الله ﷻ: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[النجم: ١ – ١٨]، وهذه الرحلة تظهر في هذا الحديث العظيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**"[1]؛ والبراق عباد الله هذه الدابة السريعة، ولهذا قيل سمي بذلك؛ لأنه كالبرق في السرعة، وقيل سمي بذلك؛ لبريقه وشدة صفائه، "**قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ**"

قال ﷺ: "**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ**"[2]، وفي رواية: "**ثم حانت الصلاة، فَأَمَّ الأنبياء**"[1].

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢).

قال ﷺ: **"ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ"**[٢].

ثم نأتي عباد الله لرحلة المعراج التي فيها العجب، والحسن، والجمال، ولهذا فإن الله هيأ حبيبه ﷺ، ويقص لنا النبي ﷺ جانبا مما حدث في ليلة هذه الرحلة، فيقول: **"نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ"**[٣]، هكذا فإن الله سبحانه على كل شيء قدير، وليست هذه المرة الأولى التي يشق فيها عن صدر الرسول ﷺ؛ بل كما ذكرنا قبل ذلك أنه شق عن صدره في صباه.

ولِمَ لا عباد الله وقد كمل رسول الله ﷺ، وثبته ربه، وأغدق عليه من الإيمان والحكمة؟! إذ إنه سوف يلاقي الرب ﷻ، وبعد ذلك سوف يواجه الدنيا بأسرها، ويواجه قوى الكفار المتألبة، ويهاجم سلطانهم القائم.

وتعالوا معي عباد الله نعرج مع رسولنا ﷺ بأسماعنا وقلوبنا في رحلة المعراج: **"ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ"**[٤]، وفي رواية: **"فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ**

---

[١] لم أجده.

[٢] ورواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢).

[٣] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٣).

[٤] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢).

هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ عليه السلام وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ"[1].

فانظروا عباد الله إلى شفقة أبينا آدم عليه السلام بنا

"ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٣).

سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"[1]، وفي رواية: **"ثُمَّ عَرَجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ"**[2]، وصريف الأقلام: هو صوت ما تكتبه الملائكة وما ينسخونه من اللوح المحفوظ.

فانظروا عباد الله إلى هذا الكون الرائع، والنظام البديع، والْمُلْك العظيم؛ فسبحان الخَلّاق.

سبعون ألف ملك يدخلون البيت المعمور كل يوم ولا يعودون إليه، انظروا إلى هذا العدد الهائل من الملائكة، وهم من خلق الله ﷻ، فإن السماء لا تجد فيها موضع قدم إلا وملك ساجد، أو راكع، يعبدون الله ﷻ.

عباد الله نحن الآن مع رسول الله ﷺ على أعتاب سدرة المنتهى في رحلة المعراج العظيمة، ولكن قبل أن ندخل مع رسولنا ﷺ بعقولنا وقلوبنا إلى هذه السدرة نجد أن رسولنا ﷺ يروي لنا مشهدًا رآه، فمن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: **"لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ"**[3]، ولأنس رضي الله عنه حديث آخر: **"رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلا يَعْقِلُونَ"**[4].

هيا بنا عباد الله نستنبط هذه العظات من تلك المقطوعة المباركة.

١. من الثوابت في هذه الرحلة أنها كانت بالروح والجسد؛ أي ليست منامًا كما يقول البعض، إذ إنها لو كانت منامًا؛ ما أنكر الكافرون الرحلة، وما ارتد من ارتد من ضعفاء

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٣).

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٨٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله (٤٨٧٨).

[4] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (١٣٥١٥)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٣٢٧).

الإيمان، فأنت إذا قلت: إني رأيت في منامي كذا وكذا، وسافرت، وصعدت، وهبطت؛ ما عاب عليك أحد، وما كذبك أحد، أما الكفار فقد كذبوا الرسول ﷺ؛ فدَلَّ ذلك على

أنهم فهموا أن الرحلة كانت بالروح والجسد.

وقد يسأل سائل: كيف استغرق النبي ﷺ في هذه الرحلة وقتا قصيرا؟

٢. إنها قوة الله سبحانه، فإنك إن أردت أن تسافر إلى مكان بعيد، فكلما زادت القوة التي تذهب بها؛ سيارة، طائرة، صاروخًا؛ قَلَّ الزمن، فما بالكم بقوة الله سبحانه تتجلى في أقدر معانيها، وهذا أيضًا يدل على أن الرحلة كانت بالروح والجسد.

٣. ويا للعجب! فرسولنا ﷺ يربط دابته في الحلقة مع أنه مع جبريل ؛ في رحلة إلهية، والمصلون هم الأنبياء، ومع ذلك يأخذ رسولنا بالأسباب، ومن الطبيعي أن يترك الدابة وهو مع جبريل ؛ ويصلى بالأنبياء ثم يرجع ويركبها، ولكن كل حرف وكل كلمة في الشرع لها من الحِكَم مالها، ولكن علينا أن ندرك ذلك.

جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن دابته، فقال: **"يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ"**[1].

فلا بد بالأخذ بالأسباب حتى نصل إلى هدفنا، فلن نرقى ونعز كأمة إسلامية عظمى إلا بالأخذ بالأسباب؛ بالقرب من الله، والعمل، والعلم الذي يجعلنا على طريق الاستقامة، ثم نتوكل على الله ﷻ فيوفقنا للخير، ولهذا يقول ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[الرعد: ١١].

٤. ونستنبط من آيتي الإسراء والنجم اللتان ذكرتا رحلة الإسراء والمعراج الآتي:

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٥١٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢٥١٧).

ذكر الله تعالى قصة الإسراء في آية واحدة فقط، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، وذلك إشارة من الله سبحانه أن اليهود سيُعْزَلُون عن منصب قيادة الإنسانية بعد أن كان الأنبياء فيهم؛ لما ارتكبوه من جرائم، وأن القيادة سوف تنتقل إلى الرسول ﷺ.

ومن الآية أيضًا نعلم أن الرحلة بدأت في وسط الليلة؛ لقوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ﴾؛ إذ الإسراء السير وسط الليل، فإن كان في أول الليل لقال (أدلج).

ومن الآية أيضًا نجد أن الله سبحانه وتعالى جمع بين المساجد الثلاثة؛ الحرام، والأقصى، والمسجد النبوي، فالمسجد الحرام والمسجد الأقصى ذكرهما الله سبحانه وتعالى تصريحًا، أما مسجد الرسول ﷺ فمفهوم من قوله تعالى كما قال أحد المفسرين: المسجد الأقصى يلزم منه أن يوجد مسجد آخر قصي، كالأبعد يلزم أن يوجد بعيد، فالأبعد عن المسجد الحرام

هو المسجد الأقصى، أما القصي أي البعيد هو مسجد الرسول ﷺ.

وبَيَّنَ سبحانه أنه بارك حول المسجد الأقصى؛ أي بارك حول جوانبه ببركات الدين والدنيا،

إذ إن هذه المنطقة مهبط الأنبياء، ومنبت الزروع والثمار.

٥. ونستنبط أيضا من إمامة النبي ﷺ الأنبياء في الصلاة أن هذه الإمامة إقرار مبين بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، وكذلك إظهارا لمنزلة محمد ﷺ؛ ولهذا يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

٦. أما اختيار النبي ﷺ للبن؛ فقد اختار الفطرة، فذلك دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة؛ أي الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس في الإسلام شيء مما يتعارض والطبيعة الأصيلة في

الإنسان، ولو أن الفطرة كانت جسمًا ذا طول وأبعاد، لكان الدين الإسلامي هو الثوب المفصل على قدره، وهذا من أسرار سعة انتشار الإسلام، فهو الدين الوحيد الذي يستجيب لأعمق نوازع الفطرة البشرية عباد الله.

سلامة الفطرة لب الدين، إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة، لا يسيل منها إلا القذر والنتن.

وعندما تكون العبادة نفسها ستارًا لفطرة فاسدة؛ فإن هذه العبادات الخبيثة تعتبر أنزل رتبة من المعاصي الفاجرة، فإن وجدت نفسك لا تستجيب لأحكام الشرع؛ فاعلم أن هؤلاء المجرمين من أعداء الدين قد استطاعوا أن يغيروا من فطرتك، ونأخذ مثالًا يوضح ذلك.

أمر الشرع بالنظافة، والسواك، وحلق العانة، والوضوء، والغسل وذلك يوافق الفطرة السليمة.

إن الفطرة السليمة توافق الشرع؛ فالمرأة تغطي جسدها، فهذا هو الشرع والفطرة، والرجل حتى ولو لم يكن على دين ولا يصلي ولا يصوم؛ فإن فطرته السليمة تجعله لا يقبل أن تسير أخته بجواره ورأسها أو جزء من جسدها عارٍ، فعندما ترى شيئًا مسجلًا في سجلات الدولة أنه مسلم، وقد خط تحت أنفه خطًا يسمى الشارب، وصوته يدل على أنه رجل، ثم يسير مع امرأته وهي كاسية عارية، تظهر مفاتنها، أو يظهر منها جزء من جسدها، أو يأخذها في مصيف وتخلع ملابسها أو أكثرها، سواء ابنته، أو أخته، أو زوجته، وحاله كأن شيئا لم يكن؛ فهذا قد مسخت فطرته، ولم يولد هكذا، ولكن فطرته تحتم عليه أن لا يقبل هذا.

٧. أما عدم اختياره للخمر؛ فالخمر هو ما خَمَّر العقل، أي: غطاه، نقول: إن هذه المرأة تلبس خمارًا: أي غطاء رأس، وكذلك الخمر تغطي العقل فلا يدرك، والخمر سواء كان رطبًا، أو يابسًا، أو مأكولًا، أو مبلوعا، أو مشروبًا، أو مشمومًا، أو محقونًا، طالما أنه

يُغَيِّب العقل ولو جزء منه؛ فهو خمر، وإذا سمي بغير اسمه؛ سمي: بيرة، بانجو، حشيش، هيروين، أفيون، برشام، مشروبات روحية[1]، أي اسم، فإنك لو شربت منها الكثير سكرت؛ فالقليل حرام؛ **"مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"**[2]، **"وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"**[3] هكذا عباد الله حكم الحبيب ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

فكل من له صلة بالخمر تحت غضب الله ﷻ؛ سواء عاصرها، أو ساقيها، أو بائعها، أو آكل ثمنها، أو حاملها، أو المحمولة إليه، حتى لو كنت سببًا ولو بسيطًا في التعاون على إظهارها، ولكن الحبيب ﷺ لم يخترها، وكيف يختارها وإسلامنا دين الفطرة؟!

٨. وفي رحلة المعراج قد يقول قائل: أليست أرواح الكفار فى سجين أسفل الأرض السابعة، فكيف تكون على شمال آدم في السماء؟

قلنا: بلى في سجين، ومن أهل العلم من أجاب عن ذلك: أن الأرواح كونها تعذب أو تنعم أوقات وأوقات؛ لقوله ﷻ عن آل فرعون: ﴿ **ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ** ﴾[غافر: ٤٦].

فيحتمل أن تكون الجنة عن يمين آدم عليه السلام والنار عن يساره.

٩. ومما يلاحظ أيضًا أن كل نبي كان يمدح الرسول ﷺ.

وأصل المدح جائز إذا علمت أن هذا المدح لا يؤثر على الممدوح، أما إذا خفت من ذلك فلا تمدح هكذا في شريعة محمد ﷺ.

كل هذا عباد الله من بركات، وثمرات، ونفحات، وومضات هذه الرحلة المباركة

رحلة الإسراء والمعراج

---

[1] فنحن في عصر المسميات الزائفة؛ فالخمر: مشروبات روحية، والرشوة: هدية، والراقصة العارية: فنانة، والشاب المايع الفاسد الذي يمثل: بطل.

[2] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٣٦٨١)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود: حسن صحيح (٣٦٨١).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٥٧٨)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٥٧).